[٣٤] ثم بين جل وعلا أن الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ يضحكون يوم القيامة من الكفار، لِما يَرَوْن ما هم فيه من الخزي والعار، والذي يضحك أخيرًا هو الفائز.

[٣٥] ثم أخبر سبحانه أن المؤمنين جالسون علىٰ أسرَّة الدر والياقوت منعمون ينظرون إلىٰ الكفار ويضحكون عليهم، لا شماتة، ولكن مقابلة لضحك الكفار عليهم في الدنيا.

[٣٦] ثم قال سبحانه علىٰ سبيل السخرية والتهكم بهؤلاء الكفار: هل جُوزِيَ الكفارُ بهذا العذابِ بما كانوا يفعلونه في حياتهم الدنيا من الشرك والكفر والظلم والضلال؟ والجواب: نعم جوزوا بعذاب لا يعلمه إلا رب العالمين.

سورة الانشقاق

سورة الانشقاق مكيّة وآياتها خمس وعشرون آية.

[١-٢-٣-٤-٥] بدأت السورة ببيان بعض أهوال يوم القيامة فقال سبحانه: إذا تشققت السماء وتصدعت، وسَمِعَت وأطاعَت أمْرَ ربِّها في تصدُّعها وحق لها أن تسمع وتطيع. وإذا الأرض زادت سَعَةً. وأخرَجتْ ما في بطنها من الموتىٰ وغيرهم، وتبرأت من الأعمال التي ارتكبت فوقها، وسمِعَت وأطاعت أمرَ ربِّها وحق لها أن تسمع وتطيع.

[٦] وهذا نداء من الله لكل مكلف لينظر نتيجة عمله منذ ولادته إلىٰ موته، يخبر فيه سبحانه أنه عامل في هذه الحياة ومجدّ في عمله، ثم في النهاية يلاقي ربه فيكافئه علىٰ عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

[٧-٨-٩] ثم بين سبحانه أن من أعطي كتاب أعماله بيمينه وهم المؤمنون؛ فإنه يحاسب أيسر الحساب، إذ تعرض عليه أعماله فيعرّف بطاعته وبمعاصيه، ثمَّ ينصرف بعد هذا الحسابِ اليسيرِ إلىٰ أهله في الجنة، وهو فَرِح بما أعطِي.

[١٠-١١-١٢-١٣-١٤-١٥] وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره، فأولئك سوف ينادُون بالهلاك علىٰ أنفسِهم، ويدخل نارًا مستعرة يقاسي حرَّها وعذابها. لأنه كان في الدنيا مسرورًا مع أهله في لهو وغفلة. ثم بين سبحانه أن هذ الكافر ظن أن لن يرجع إلىٰ ربه فيحاسب؛ لغرورة وفسقه. فأكد سبحانه أنه سوف يرجع ويحاسَب علىٰ أعماله التي كان الله مطَّلِعًا عليها، لا يخفىٰ عليه شيء منها.

[١٦-١٧-١٨-١٩] ثم أقسم سبحانه قسمًا مؤكدًا بحمرة الأفق بعد غروب الشمس، وأقسمُ بالليل وما جَمَعَ فيه من الخلقِ، وأقسم بالقمر إذا تكامل ضوءه ونوره في نَصف الشهر، أي: صار بدرًا، ثم جاء جواب القسم فقال سبحانه: لتلاقنّ أيها الناس في دنياكم منذ أن تولدوا حتىٰ تموتوا أمورًا بعد أمور، وأحوالًا بعد أحوال، وجيلًا بعد جيل؛ إلىٰ أن تصيروا إلىٰ ربكم.

[٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥] ثم قال سبحانه: فأي شيء حدث لهؤلاء الكفار حتىٰ جحدوا قدرة الله علىٰ البعث. وإذا قُرئ عليهم القرآن لا يخضعون له، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه. بل طبيعتهم التكذيب. والله أعلم بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب والحقد علىٰ المسلمين. فبشرهم يانبي الله بعذاب مؤلم موجع، جزاء إعراضهم وإصرارهم علىٰ التكذيب.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

[٢٥] ثم استثنىٰ جل وعلا من العذاب الذين آمنوا بالله ورسوله، فأخبر أن لهم أجرًا لا ينقص ولا ينقطع مدده، ولا يمن به عليهم أحد، ويتنعمون فيه أبد الآبدين.

سورة البروج

سورة البروج مكيّة وآياتها ثنتان وعشرون آية.

[١-٣] بدأ جل وعلا بهذه الإقسامات فأقسم سبحانه بالسماء ذات الكواكب العظيمة، وهي اثنا عشر برجًا، وهي منازل القمر، والتي يعرف بها أصحاب المزارع مواسم الزرع والغرس وجني الثمار، وكذلك أهل الأغنام وأهل الإبل في الصحراء يعرفون بها فصول السنة، الصيف والشتاء والربيع والخريف. ثم أقسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة، وأقسم بالشاهد والمشهود، وقد اختلف المفسرون في الشاهد والمشهود، وذكروا فيه أقوالًا كثيرة، فقيل: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة، وقيل: الشاهد هو محمد ﷺ والمشهود هو يوم الحساب، وأجمع الأقوال: أنه كل شاهد ومشهود؛ كما قال العلامة السعدي رحمه الله.

[٤] ثم جاء جواب القسم فقال سبحانه: قاتل الله أصحاب الأخدود الذين شقوا الأرض طولًا وجعلوها أخاديد، وأضرموا فيها النار ليحرقوا بها المؤمنين.

ثم وصف سبحانه هذه النار فأخبر أنها نار ملتهبة متأججة موقودة بحطب كثير.

وقصة أصحاب الأخدود ذكرها مسلم في صحيحه[1].

[٥-٦] ثم بين سبحانه أن هؤلاء المجرمين جلسوا حول هذه النار العظيمة المتأججة يشرفون علىٰ المؤمنين وهم يعذبون بها؛ فالذي يمتنع عن الكفر يقذفونه في النار ثم يشاهدونه وهو يقذف، والذي يكفر يفرحون أنه كفر ويتركونه.

[٧-٩] وهؤلاء الكفار يشهدونَ علىٰ أنفسِهم بما فعلوه بالمؤمنين. وما أنكروا عليهم ولا عابوا منهم إلا أن صدقوا بالله الغالب المحمود في كل حال. الذي له ملك السماوات والأرض يتصرف فيهما كيف يشاء، ويحكم فيهما بما يريد، والله علىٰ كل شيء شهيد، لا يخفىٰ عليه شيء من فعل هؤلاء الطغاة الظالمين بمن آمن بالله واتبع هداه. فكانت جريمتهم وذنبهم فقط هو الإسلام والإيمان بالله، وهكذا تنقلب الموازين عند الفجرة فتكون الصفة الحميدة الحسنة سيئة.

[١٠] واعلموا أيها الناس أن الذين عذبوا وأحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ليفتنوهم عن دينهم ثم لم يرجعوا عن كفرهم وطغيانهم فلهم عذاب جهنم المخزي بكفرهم. ومع جرمهم العظيم إن تابوا أدخلهم الله في رحمته، وهذا من لطف الله وعدله وكرمه.

[١١] ثم اعلموا أيضًا أن الذين أقروا بوحدانية الله في عبادته وعملوا صالحًا لهم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار، وهذا هو الظفر الكبير لهم. وقد شاهد العالم في البوسنة والهرسك وفي الأندلس لما استولىٰ الكفرة صاروا يقتلون الناس بالجملة لا لذنب إلا أنهم مسلمون؛ فنسأل الله أن يعيد للإسلام والمسلمين عزهم ومجدهم.

[١٢-١٣-١٤-١٥-١٦] واعلم يانبي الله أن أخذَ ربِّك وانتقامه من الجبابرة والكفرة لغاية في القوة والشدة. ثم اعلم يانبي الله أن الله سبحانه وتعالىٰ هو وحده الذي يبدأ الخلق ويوجدهم من العدم، ثم يميتهم ثم يعيدهم أحياء مرَّةً أخرىٰ، وهو سبحانه الغفور: كثير المغفرة لمن تاب من عباده وأناب، الودود: المتودد لأوليائه المحب لهم حبًّا شديدًا. وهو سبحانه صاحب العرش العظيم، الذي هو أعظم المخلوقات، وهو سبحانه المجيدُ: المستحق لكمال صفات العلوّ. وهو سبحانه الفعَّال لما يريد، فإذا أراد شيئًا قال له (كُنْ) فيكون.

[١٧-١٨-١٩-٢٠] ثم قال جل وعلا لنبيه ﷺ: هل بلغك يارسول الله خبر كفر وعناد أولئك الجنود، وما حل بهم من العذاب والنكال، وهم فرعون وثمود، أولي البأس والشدة. ومع ذلك فإن كفار مكة مستمرون في التكذيب الشديد لك ولما جئت به، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار، ثم بين سبحانه أنه محيط بهم علمًا وقدرة وأنهم في قبضته لا يفوتونه ولا يعجزونه.

[٢١-٢٢] ثم ختم جل وعلا السورة ببيان أن هذا الذي كذبوا به كتاب شريف، محفوظ من التحريف، مكتوب في لوح وهو أم الكتاب محفوظ عند الله. وبذلك يكون نفىٰ سبحانه عن القرآن ما قالوا: من أنه شعر، وأنه أساطير الأولين.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).